دلائلية العنوان عند عبد الحميد بن هدوقة
" الأشعة السبعة نموذجا".

الأستاذة: فطيمة الزهرة حفري
قسم الآداب واللغة العربية
كلية الآداب واللغات
جامعة بسكرة– الجزائر

ملخص:

تعد القصة من أبرز الملامح النثرية التي تميز الإنتاج الإبداعي للإنسان حيث أثبتها التفرد الإنشائي فتنقل القارئ من حالة التأثر إلى حالة القدرة على التأثير أمام محك الانتماء، تتحداه بالإغراء ويصبح المخفي غير المفصح عنه صاحب السلطة حيال المذكور المنصوص عليه، وعليه برزت الأشعة السبعة في سماء الخطاب القصصي شمسا استقطبت العديد من القراءات لتظفر هذه المجموعة القصصية بقراءات تأويلية تشاطرنا الرأي تارة وتتبرأ منا تارة أخرى انطلاقا من كونها بناءا معماريا ويتجلى هذا بداية بالعنوان.

دلائلية العنوان:

دأب المحللون على عدِّ العنوان مفتاحا سحريا، ووجها مختزلا يمكننا من ولوج النص، وقد يمثل حقلا استراتيجيا في الدراسات النصية، حتى أنه أصبح يندرج ضمن علم: « ألا وهو علم العنوان أو العنونة La Titrologie كما يحلو للفرنسيين تسميته».[1]

فالعنوان هبة من الذات الكاتبة« يشكل قوة، تسمح للقارئ بولوج دقائق النص والبحث في لملمة هذه الدقائق».[2] ويعد بذلك« أول عنصر يفتتح به النص، ونقطة الانطلاق الطبيعية للنص، فهو النواة التي يمكن أن يتوالد منها الخطاب».[3]

ولطالما شكل العنوان باعثا استفزازيا لدى القارئ، ببؤرته الإشارية التي تحيل إلى علاقة عمودية، تمثل تكثيفا لدلالة النص إذ يشير إلى إحالات غير لغوية،« باعتباره معلما بارزا من معالم المناهج الحديثة، على خلفية أنه هوية النص التي يمكن أن تختزل فيها معانيه، ودلالاته المختلفة».[4]

يعتبر العنوان عنصرا من العناصر الأولية للنص، ليتوازى بعد ذلك مع اسم المؤلف، واسم الدار وتاريخ النشر والهوامش، غير أن أهميته المقارنة ببقية العناصر تبدو جلية للعيان، فإذا كانت الدراسات التقليدية الكلاسيكية النقدية ركزت على المتن النصي في تحليله، مولية ظهرها للعنوان، فإن الدرس الحديث والبحوث العلمية قد شملت بالاهتمام وتسعى إلى تأويله وفق مدارات إيديولوجية وقرائية.

ومن هنا أصبح العنوان يشغل حيزا يكاد يستقل من خلاله أو يعدم تبعيته ضمنيا، واليك الخطاطة التي تحمل هذا الاستقلال وتؤكد مرجعياته على مستوى الشكل والدلالة.

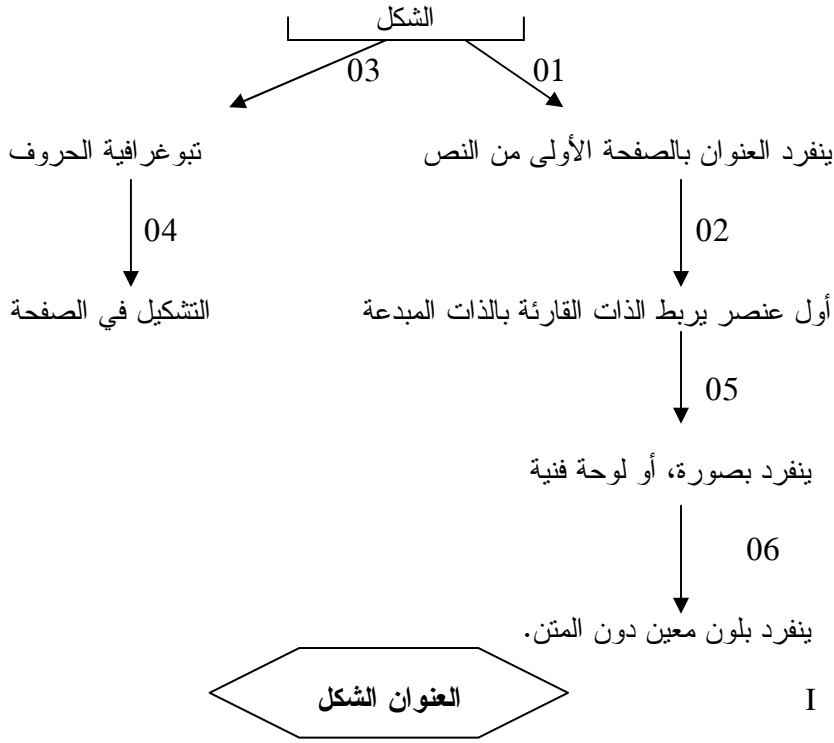
الشكل
03
01
تبوغرافية الحروف
ينفرد العنوان بالصفحة الأولى من النص
04
02
التشكيل في الصفحة
أول عنصر يربط الذات القارئة بالذات المبدعة
05
ينفرد بصورة، أو لوحة فنية
06
ينفرد بلون معين دون المتن.
العنوان الشكل
I

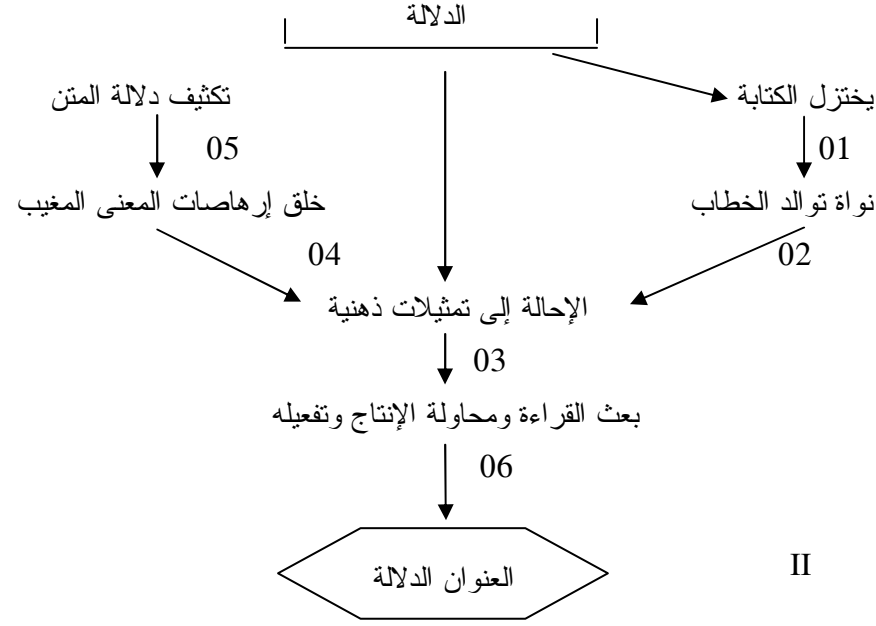
الدلالة
تكثيف دلالة المتن
يختزل الكتابة
05
01
خلق إرهاصات المعنى المغيب
نواة توالد الخطاب
04
02
الإحالة إلى تمثيلات ذهنية
03
بعث القراءة ومحاولة الإنتاج وتفعيله
06
العنوان الدلالة
II

يبدو العنوان وحدة معجمية ايقونية، يتكون من حروف تيبوغرافية غليظة مثبة وسط صفحة الغلاف، ويحتل حيزا واسعا من الخطاب القصصي إذ يعكس نوعا من البروز والتميز.

واعتمادا على أهمية الموقعية باعتباره فاتحة الخطاب القصصي فقد شكل لدينا علامة إخبارية، تجعله نواة مركزية ترتبط به دلالات أخرى التي ينتجها الخطاب، وعليه يضحى العنوان عنصرا مهيمنا.« يكون صورة كلية تحدد هوية الإبداع وتجمع شرراته في بنية لفظية تعتمد ترميزا معينا، تتقاطع فيها المرجعيات».[5] واحتوائه على مرجعيات وإيديولوجيا قد تضاعف قدرته على ممارسة الفعل الاغرائي ومد شرايين الدلالة بين العتبة الأولى، والمتن القصصي ومن ثم يحتل« العنوان الصدارة في الفضاء النصي للعمل الأدبي فيتمتع بأولوية التلقي»[6] وأحقية الكشف. إذ أكد" حكمة النوايسة" بأن العنوان يشير« من خلال مفرداته إلى أنه معين تغرف منه المدونة وتوظفه في نسجيها».[7]

فعلى القارئ الحذق أن يربط بين العنوان باعتباره مرجعا للخطاب القصصي، والخطاب باعتباره مرجعيا للعنوان. ومن هنا نقم وشائج النص بالعنوان لنصل إلى المرامي ونتطلع على مختلف الإيحاءات. وعليه ينتقل الدال العنواني من الصورة الحسية التي تدرك عن طريق الحواس من كينونتها المادية، إلى حيث تصبح بؤرة إشعاعية إيحائية لا تحد. ومن هنا أمسى مفتاحا تأويليا مكتنزا دلاليا رامزا و« كيانا حسيا يثير في الذهن شيئا آخر غير محسوس»[8]، إذ يعكس لنا الخطاب القصصي في تضاريسه السطحية والعميقة، ومن ثم فالعنوان هو الخطاب القصصي، والعلاقة بينهما علاقة تفاعلية، وما لخطاب إلا تكملة للعنوان وتمطيط له عبر التوسع فيه والتقليب في صيغ مختلفة.

إن العنوان كثيرا ما يملي الإيحاء،« ويطيح بتوقعات المتلقي، ويتكتم على نفسه، فيراوغ ويتمنع ولا يخلص إلى الإحالة والتعيين»[9] إلا أن هذا لم يعدم يتمفصل« الأشعة السبعة» إلى مجموعة من الإحالات حكمتها مرجعيات متعددة، ساهمت في ثراء الدال العنواني.

لقد مكننا تحليل الدال العنواني، بناء على موقعه الافتتاحي الدلالي التركيبي، أن نقوم بصياغة افتراضات مرجعية واختبار هذه الافتراضات يقتضي الربط بينها وبين متن الخطاب القصصي ولعل أول المرجعيات" للأشعة السبعة" هي المرجعية الدينية، لتضطلع

المرجعية الشعبية في المرتبة الثانية، أما المرجعية التاريخية فرغم سيطرتها على المتن القصصي إلا أننا ارتأيناها في المرتبة الأخيرة.

المرجعية الدينية:

لقد شكل الدين النصيب الأوفر و« الغذاء الروحي، والجذوة التي استهدى بنورها».[10] ابن هدوقة في تخيره للمقدرة الثانية من الدال العنواني، فإذا كانت الشمس مصدر النور ومصدرا للحق يتمتع به كل شيء في الوجود، فإن الأشعة هي الأخرى مصدر للشمولية والاتساع والامتداد.

ولو أمعنا النظر في الدال العنواني« الأشعة السبعة» فنجده مكونا من مبتدإ وخبر أي مسند ومسند إليه، وقد اقترن المبتدأ وهو الأشعة بالعدد سبعة. وهنا ينتقل العنوان إلى عدد ومعدود، وما نلمحه هو تقديم المحدود الأشعة على العدد سبعة، وهي تقنية مستحدثة.

لقد اقترنت مفردة الأشعة بالعدد سبعة الذي يشكل عددا فولكلوريا أصيلا في الذهنية بحيث تردد في أساطير الأمم، وقد ارتبط هذا العدد بالمعتقدات الدينية والشعبية والطب العامي والسحر، والرقية، ولعل أهم هذه المعتقدات، تلك الشعائر الدينية القائمة على سبعية الأشياء، ومن بينها« مناسك الحج، حيث تلقى كثيرا منها يقوم على الفعل السباعي مثل الطواف، السعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمرات، ولأن هذه الشعائر موروثة عن الأزمنة الغابرة لم ينفها الإسلام لأنها لا تتناقض ومبادئ الإسلام الجوهرية».[11]

لم يبرء سطر في هذا الخطاب القصصي إلا ولامسه ذكر العدد سبعة كونه « اعتقاديه دينية شعبية تجسد ذهنية معينة لطبقة من الناس».[12] ولا شك أن العرب قد استعملوا العدد سبعة، رقما شرعيا يستمد قدسيته من الدين الإسلامي الحنيف وتقر" ثريا التيجاني" بهذه القدسية في قولها بأن:« أصل المعتقد ديني، ويعني التبرك بفعل الشيء سبع مرات حتى يثبت ويصلح».[13] وقد اعتمد" ابن هدوقة" هذا العدد البارز ليبدي لنا مدى إيمان المجتمع الجزائري بالدين الإسلامي الحنيف والتأثر بتعاليمه السمحاء ومحاولة تطبيقها ويتجلى ذلك في محاولة الاقتداء بما جاد به الإسلام.

ولعل" عبد الملك مرتاض" يوافقنا الرأي عندما جعل مصدر العدد سبعة دينيا، برجوعه إلى عدد أيام الأسبوع، كونه الوحدة الكاملة الكبرى لحسبان الزمن، وأن العدد ورد قبل أن يعرف العرب الحضارة الإسلامية، عرف الناس الحساب بواسطة الأصابع.

واستعملوا الحصى والحجارة، وتوصلوا إلى ربط عدد أيام الأسبوع بأسماء الآلهة والكواكب، وقد نقل هذه الأسماء الإلهية السبعة« الرومان والإغريق وغيرهم، عن عرب الكلدان الناطقة بالانجليزية».[14]

هي أسماء أيام الأسبوع المستمدة من الآلهة والكواكب والتي تقابل بدورها العدد 07 تبركا منهم بقدسية العدد. ندرجها على النحو الآتي:

السبت ← يوم زحل(saturn) → Satur -day

الأحد ← يوم الشمس(sun) → Sun- day

الاثنين ← يوم القمر(Moon) → Mon-day

الثلاثاء ← الإله تيو(Tui) → Tues-day

الأربعاء ← الإله وودن(Woden → Wodnes-day

الخميس ← الإله ثور(Thor) → Thurs-day

الجمعة ← الإله فريغ(Frigg) → Fri-day

وكانت لهذه الأيام السبعة عند القدامى، محكايتلمسه الناس في الاحتفال بكل يوم من الأسبوع. يجعلون لليوم مسمى من أسماء الآلهة، ويحتفلون به تحت مسمى آخر من أسماء الكواكب والآلهة وسنوضح هذا بالشكل الآتي:

Saturday ← يحتفلون بـ ← يوم زحل Saturn

Sunday ← يحتفلون بـ ← يوم الشمس Sun

Monday ← يحتفلون بـ ← يوم القمر Moon

Tuesday ← يحتفلون بـ ← يوم مارس Mars

Wodnesday ← يحتفلون بـ ← يوم عطارد Mercury

Thursday ← يحتفلون بـ ← يوم جوبيتار Jupiter

Friday ← يحتفلون بـ ← يوم فينوس Venus

مثلما ارتبط العدد سبعة بذهنية القدامى، كانت به خطوة أعظم بمجيء الإسلام، حيث نال قداسة في القرآن الكريم، فقد ورد بأعداد كثيرة وفي مجالات متعددة نفصلها كما يلي:

أولا: المثاني السبع

لقد اقترن العدد سبعة بالمثاني السبع فقال الله سبحانه وتعالى:﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾*، وتعتبر الفاتحة هي الأساس الأول لقيام الصلاة، فلا تقبل ركعة في غيابها. ولن ينال المصلي أجر صلاته إن تجاوزها أو غيبها. فتكاد الفاتحة تجمل موضوع العقيدة وهو الوحدانية إذ تبعها من المواصفات كالعبودية– الملك– التوكل– الهداية–.... الخ.« وللفاتحة عبارة عن: خطاب منزله الله سبحانه وتعالى. ومتلقيه الأول النبي صلى الله عليه وسلم لينذر به الكافرين ويبشر المؤمنين، ويصحح لعقيدة، التي كذب بها الشرك وأكدها الإيمان ولعل الرابط الدلالي بين آي الفاتحة هو تأكيد نصر الجانب المؤمن على الجانب الغير المؤمن، ومن ثم العقيدة واحدة والحساب متعدد».[15]

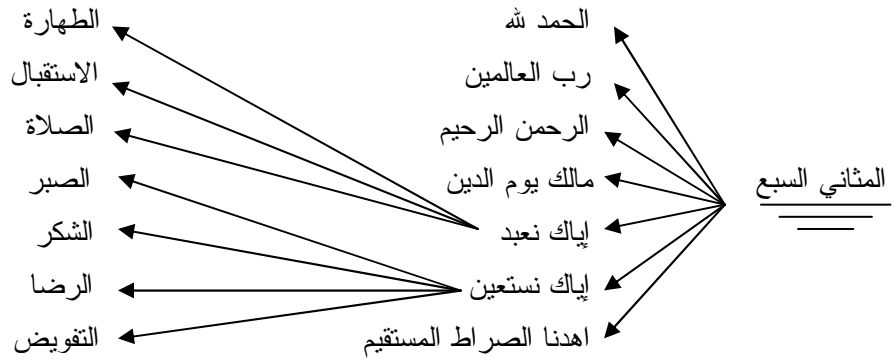

ثانيا: السماوات والأرض والبحار

لقد ارتبطت السماوات والأرض والبحار بالعدد سبعة في القرآن الكريم. حيث قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه عن سبعية السماوات والأرض:﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ**﴾* وبعد ذلك استوى على العرش.

أما فيما يتعلق بالبحار، فهي الأخرى، اقترنت بالعدد سبعة في قوله عز وجل في سورة لقمان﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.**﴾* وما ينبغي ذكره في استعمال القرآن للعدد سبعة أنه عادة ما يكون دليلا على« الكثرة لا للقلة، لأنه أكثر الأعداد إيحاء للكثرة، من دون الأعداد الأخرى».[16]

ثالثا: طبيعة تركيبة البشر

إن طبيعة البشر ترسم لنا العديد من مشاهد الاختلاف والتنوع، إلا أن الملفت للنظر هو احتكام الله سبحانه وتعالى في جعلها طبائع خلقية وخلقية سبعا. وهذا ما أورده ابن كثير عن النبي صلى الله عليه وسلم كاعتراف بهذه التركيبة السباعية لخلقه وأخلاق البشر بأن« الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم: الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب، والسهل والحزن وبين ذلك».[17] ولا يمكن أن نتوقف هنا فحسب بل عند مراحل تطور الإنسان في بطن أمه.

رابعا: الأجر والجزاء

لقد تزين الأجر والجزاء بحلة سباعية، عندما خاطب الله سبحانه وتعالى المنفقين في سبيل الله، في سورة البقرة فقال عز وجل:﴿ **مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾.*

مما لا شك فيه أنك تفطنت إلى تقديم العدد سبعة عن العدد مئة رغم أن العدد الأخير يوحي بالكثرة وما هذا، إلا انعكاس لقدسية العدد، وتميزه عن بقية الأعداد. إلا أن العدد سبعة ينتقل من دلالة الأجر والجزاء إلى دلالة المؤمنين، الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله، وهو عدد ارتبط كذلك بالقرينة سبعة. في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم« سبعة يظلهم*الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله»[18] وفي مقابلة الأخيار الأبرار. يأتي الأشرار الفجار، بعدد سباعي كذلك أوردهم ابن كثير في تفسيره ونقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله:« سبعة لا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم، ويقول أدخلوا النار مع الداخلين».[19] مثلما ارتبط العدد سبعة بأجر الإنفاق وجزاء الشرك وثواب الإيمان ارتبط بالرخص الشرعية وتيسير الصعب وتسهيل المشقة.

لقد اقترن صوم الحاج عند رجوعه من الحج، بالعدد سبعة، تيسيرا من الله سبحانه وتعالى على الحاج لما يلاقيه من متاعب وعناء ومشقة السفر ومشقة أداء مناسك الحج في قوله تعالى:﴿ **فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ**﴾*. رأفة بالحاج، ورحمة من الله سبحانه وتعالى. والذي لا يمكن أن نتجاوزه في سبعية الأجر والجزاء، هو وصف الله سبحانه وتعالى لأبواب جهنم، وجعلها تتدرج

ضمن العدد سبعة، فقال عز وجل:﴿ **لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ**﴾* وكأن الله سبحانه وتعالى أراد بعث الرهبة في قلوب المشركين بهذا العدد القدسي، حيث جعل جهنم درجات تقابل فعل البشر. وهي على النحو الآتي:

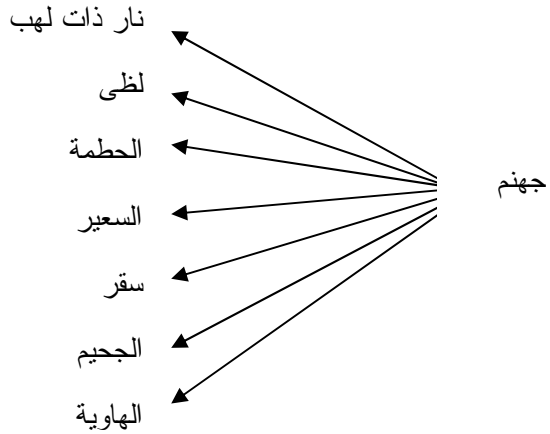

خامسا: سيدنا يوسف عليه السلام

تعد قصة سيدنا يوسف عليه السلام، من أفضل النماذج القصصية القرآنية، لما لها أثر في النفوس، وقوة حضور في القلوب، هي سورة اغترفت من العدد سبعة في كثير من آياتها، فارتبط العدد سبعة بالبقرات* وبالعجاف* وبـــ السنابل الخضراء* وبسنين الدأب* وبسنين القحط والشدائد*. هي قصة بتركيب الرؤية التي مرت في تفسيرها بعدة مراحل بداية بـــ ذهاب عزيز مصر إلى سيدنا يوسف عليه السلام وتيقنه من صدق تأويله، ختاما بتحقق تأويل سيدنا يوسف عليه السلام ولنتبع هذه المراحل السبع فيما يلي:

1* الرؤيا.

2* سماع الرؤيا.

3* استجابة لإلتماس العزيز ورغبته في التأويل.

4* يزرع القوم سبعا ولا يحصدون ويذرونه في سنابله.

5* يأكل الزرع سبع شداد" بداية القحط".

6* يأتي الفرج بعام يغاث فيه الناس.

7* وفيه يعصرون.

تحقق الفرج في المرحلة السابعة، وخرج أهل مصر من القحط والجفاف والفقر. ليعيشوا النعمة ويشكروا الله عليها.

سادسا: مقاييس المادة

لقد ارتشفت مقاييس المادة، من الرحيق القرآني للعدد سبعة، فوردت في سور مختلفة، تعكس عظمة صنيع الله، حيث جعل لكل شيء قدرا، وقد تنبه العلماء إلى هذه المقاييس، وجعلوها مراتب سبعا، لكن الوارد منها جاء في مواضع قرآنية متعددة، فورد مقياس" الخردل" في سورة الأنبياء:﴿ **وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ**﴾*. كما ورد" النقير" في سورة النساء. وذلك في قوله تعالى:﴿ **أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا**﴾* وورد" القطمير" في قوله تعالى:﴿ **وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ**﴾* أما عن" الذرة" فقد ورد هذا المقياس في قوله تعالى:﴿ **وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾.* وورد مقياس" الهباء" في قوله تعالى:﴿ **وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا{5} فَكَانَتْ هَبَاء مُّنبَثًّا {6}**﴾*. وهذه المقاييس القرآنية للمادة دفعت بـــ الدكتور هشام طالب إلى وضع هذه الصنافة[20]:

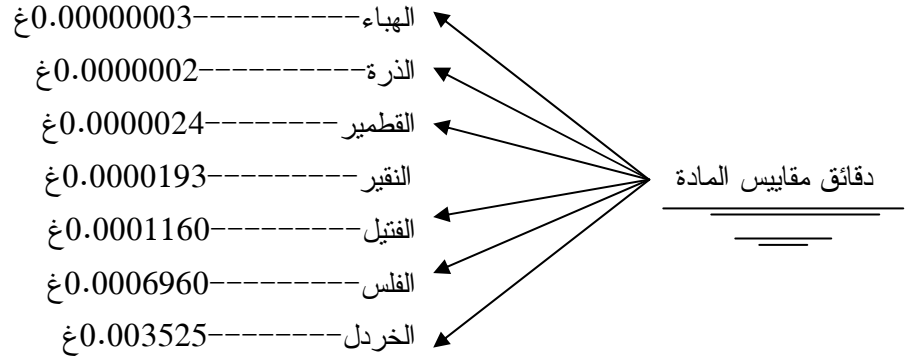

يسعى الدال العنواني لتأسيس إستراتيجية إغرائية، تأسر الباحث، وتحمله على تتبعه في رحلة استكشافية ممتعة. إذا كان ما سبق هو تفصيل لمعطيات العدد" سبعة" فإن " الأشعة" بدورها شكلت لدينا متعة أخرى ساهمت في تبيان الدال العنواني كاملا.

إن الأشعة تتولد عادة« من تصادم الالكترونات السريعة»[21] إلا أن الدال العنواني استنطق هذا التصادم من الخطاب القصصي. وأثبت قدرته في تفعيله انطلاقا من كونه« مفتاحا مهما، ومنطلقا علاميا دالا، يقرب البعيد، ويفتح المستغلق، ويضيء المبهم. فيحوي مدلول النص ليحيل إلى المرجعيات الخارجية».[22]. فتتقدم دلالة الأشعة من حيث العدد سبعة حيث تخير نيوتن« الألوان، وجعلها مكونة من حزمة من الأشعة، جمعت لديها

سبعة ألوان ربطها بالأجرام السماوية، أو الكواكب السبعة، وبالنغمات السبع للمدرج الدياتوني في الموسيقى: الأحمر(نغمة c) والبرتقالي(d) والأصفر(نغمة e). والأخضر (نغمة F) والأزرق(نغمة G) والنيلي(نغمةَ A) والبنفسجي(نغمة B).»[23]« على الرغم من أن مجموعة الطيف تمتد في شريط يحكمه المزج بين الألوان إلا أن نيوتن جعلها في شكل سباعي عبقري».

فمن المستحيل أن نتخيل العالم بدون ألوان، إذ يعتبر اللون جزءا من العالم المحيط بنا، وهو يلازمنا في حياتنا، ويدخل في كل ما حولنا. ولقد أعطت كثير من الديانات للألوان قيمة خاصة، فاتخذت لها دلالات رمزية ومنها من ربط بعض الممارسات الدينية بألوان خاصة. **فاللون الأصفر le jaune** مثلا« لون مقدس ليس فقط في الصين والهند، ولكن كذلك في المسيحية الدينية الأوروبية، واستخدمت الكنيسة اللون الأصفر في اللوحات المقدسة في شكل خلفيات من أوراق الشجر الذهبية، ولارتباط اللون الأصفر بالشمس والضوء، استخدمه قدماء المصريين رمزا لإله الشمس رع».[24]

أما ما يجدر بنا ذكره، أن الشمس أعظم طاقة سخرها الله سبحانه وتعالى لخدمة الإنسان وجميع الأحياء على سطح الأرض، إلا أن العجيب ها هنا أن نهايتها هي الأخرى ارتبطت بالعدد سبعة، فقد« قدر العلماء أنها تحتاج لسبعة آلاف مليون نسمة، حتى تصبح عملاقا احمر ثم تنهار»[25]. فالشمس التي نراها تمد الأرض بالنور والطاقة والحيوية وتجمع بين المتغيرات اللونية صفراء اللون إلى بياض في النهار وبرتقالية عند المغيب.

« إن منظومة الألوان تحتوي على ألوان قاعدية(Les couleurs de base) وأخرى تركيبية(Les couleurs de synthv)»[26] بداية **بالأبيض Le Blanc** يوحي هذا اللون الأبيض إلى آلاف الدلالات. فارتأت الناس في لبوسهم منذ القدم أن يجعلوا غالب أزياء الصيف ذات لون أبيض، وكان لذلك علما وأسبابا تفرضها الطبيعة فمن المعلوم فيزيائيا أن البياض هو اجتماع كل الألوان، وأن الأسود هو غيابها الكلي، فإذا أسقطت« أشعة الشمس على الأبيض، فإن مركباتها الذبذبية، والتي من بينها حزمة ما وراء البنفسج تتكسر على مثيلاتها مما يجتمع في اللون الأبيض، فيرتد جزء منها بحسب قياس زاوية الميل، فلا يصل إلى الجسم من وراء الرداء الأبيض كل الحرارة بل يخف بعضها».[27] فاللون الأبيض منذ غابر الأزمان، كان مقدسا ومكرسا عند القدماء، فإذا كان هذا اللون في حضارة الرومان يرمز لإله الرومان Zupiter فإنه عند المسلمين لباس

لأداء مناسك الحج والعمرة، وكفن للميت، وقد استخدم القرآن بياض الوجه يوم القيامة رمزا للفوز بالجنة نتيجة العمل الصالح، فهو رمز الصفاء والطهر والنقاوة والطبيعة، العدالة، الاستسلام، العرس، وقد يشير إلى حداد أهل الميت، والى عدة المرأة.

الأخضر(Le vert):

يسمح هذا اللون بإعادة البناء، أو كاسترجاع لون البراعم النباتية الربيعية، فهو لون يوحي بالأمل، أما على مستوى العقيدة فيمثل الإخلاص والخلود والتأمل الروحي. وهو لون لباس المسلمين في الجنة. كما أنه لون لبعض مقاعد الجلوس(رفرف خضر) في الجنة. أما في المعتقدات المسيحية فيقال أنه« لون الكاثوليك المفضل، يستعمل في عيد الفصح ليرمز إلى البعث. وهو لون التعميد Babtism كذلك».[28]

الأحمر(Le Rouge):

يرمز في كثير من الديانات إلى الاستشهاد، والى لون الدم ولون جهنم لأنها توصف بالحمراء، لون يوحي بشدة العزم وقوة المشاعر وينقسم اللون إلى سبعة أقسام:

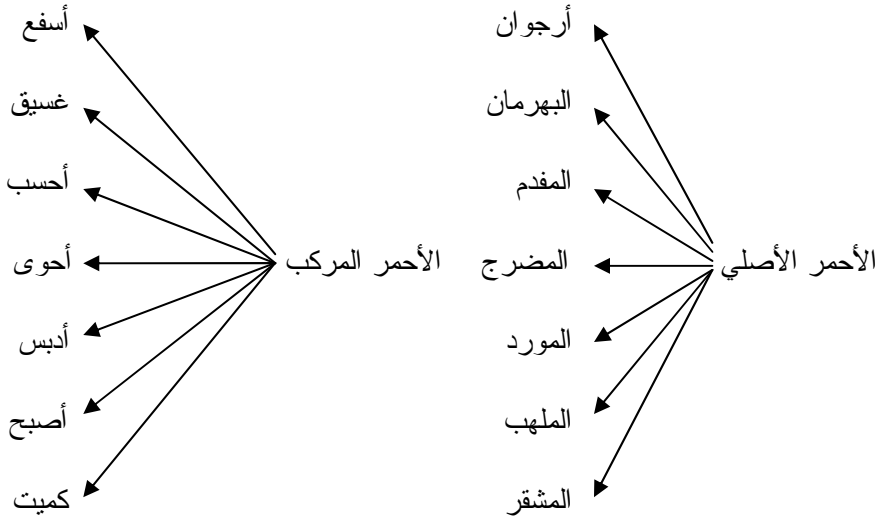

الأزرق(Le Bleu):

يمثل اللون الأزرق مكانة في العبرية، فهو لون يهوه(Lord Zahovds) الرب. وهو أحد الألوان المقدسة عند اليهود، وكان لون الآلهة الشمس التي عبدها المصريون قديما. في حين يستخدمه الصينيون رمزا للميت والحزن عليه. وقد يوحي الأزرق بالهدوء والاسترخاء.

الأسود(le Noir):

يرمز عادة للحزن والألم والموت، كما انه رمز للخوف من المجهول والميل إلى التكتم، فهو لون يدل على العدمية والفناء في حين أنه يثاب يتخذه الأغلبية كلون للجنائز. الأسود يعكس خطايا الإنسان ومعاصيه، كما أنه يوحي بالاستلام النهائي إذ يرمز للجهل والتعنت.

البني(Le Marron):

« يكون البنى ذا مغزى إذا وقع في المركز السابع»[29]. حيث يقل فيه النشاط، إذ يوحي هذا اللون بالهدوء الخلاق، والقوة الفعالة. إذ يشير إلى الجذور التي تعكس صلابته الأرض.

ومن هنا كان للون دلالة سباعية تحمل بين ثناياها الكثير من الإحالات. فاحتوى على هذه الألوان السبعة، لما لها أثر في تحويل المجاهيل إلى معاليم ليصوغها ضمن عرف من الأعراف اصطلاح من الاصطلاحات الحديثة. ليبقى العنوان جمعا بين عدد الأشعة ولونها« يتوشح في كل مرة بمعنى إضافي، وهو ما يجعل التطور والنمو داخل القصة القصيرة».[30] ومن هنا يتبدى العنوان عتبة أولى يطؤها الباحث، ليلج مكامن الخطاب القصصي، إذ شكل لدينا أخاديد دلالية أخرى ثبتتها العناوين الداخلية (Intertitres). لتبوح وتجمل ما يكتمه العنوان الرئيس.

تقوم البنية اللغوية لعناوين الأشعة السبعة الداخلية على مركبات اسمية تعكس الثبات، لتتجرد من عنصر الفعلية الذي يحيل لزمن معين يعطل الحركة. حرص القاص عبد الحميد بن هدوقة على إثبات هذه العناوين لإثبات الثورة الجزائرية المجيدة وتقرير حريتها. ولو عدنا إلى العناوين الفرعية« للأشعة السبعة» لتشكلت في هذه المعاني. حيث حرك القاص، الطفل الأبكم لتنفيذ الوصية وهي الذهاب إلى الصحراء بنفسه لإحضار ثمن المهر بيده فيسمى بهذا الذهاب مسافرا يبتغي الهدف لينشد حلم الصيف ويجعل حياته الماضية دمعة قديمة يمحوها حضور ثمن المهر منتصف النهار ليثبت الأوجه الخلفية التي ساهمت في تحويل الصداقة إلى زواج، فأصبح بطلا يتحقق عمره الحقيقي في الأشعة السبعة.

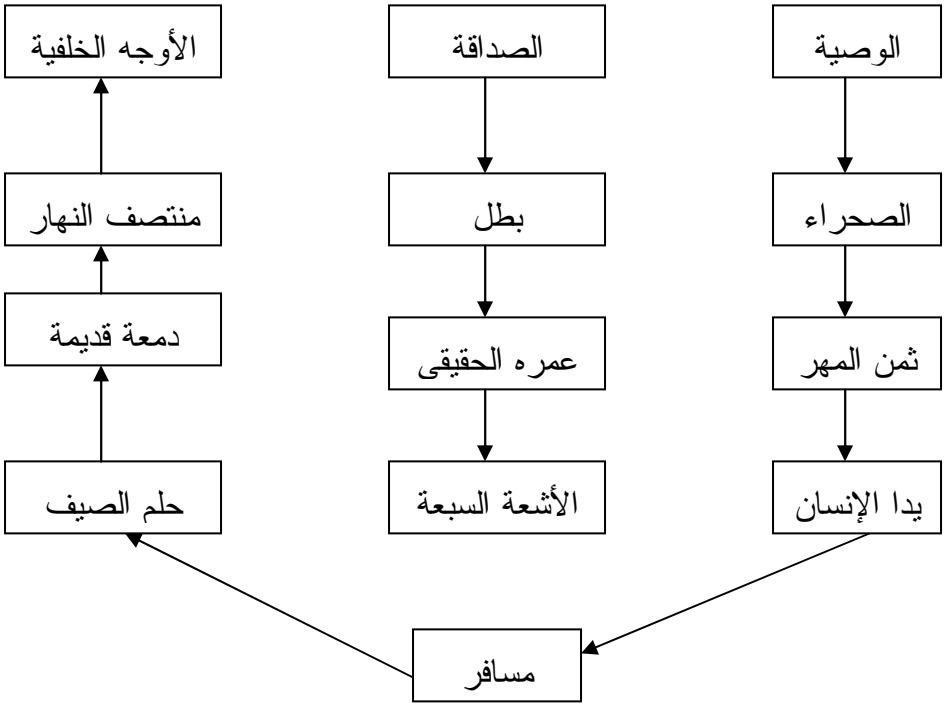

إن هذه العناوين الفرعية لم يربط بينها المشجر الدلالي فحسب، بل تعدى الربط بين عناوين فرعية إلى العدد سبعة، حيث تحكمت تاء التأنيث، في معظم البنى اللغوية. للدال العنواني الفرعي. لتؤكد التاء على مطلبها فتكررت سبع مرات.

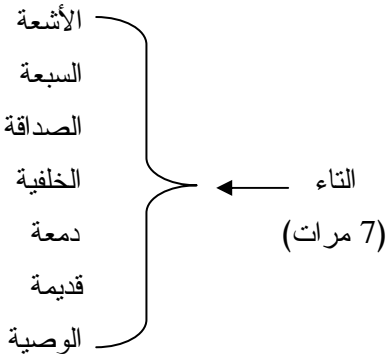

ليتبين لنا في الأخير أن المطلع على" الأشعة السبعة" تعانقه الدهشة، منذ الإطالة الأولى على العنوان، وما مصدر هذه الدهشة إلا قدرة القاص على تطويع العدد" سبعة" كمعطى ديني، ليخلق لنا بقداسة العدد، علائق جديدة فيها يناعة الابتكار، وتمنع الافتعال.

وهكذا شكل الدال العنواني، حالة إغراء، جذبتنا نحوه، وأجلت إمساكنا بتلابيبه، فأقامت هالة من القدسية على الخطاب القصصي، لتنصر جانب الإيمان وتمثل أمام القدرة الخلاقة، حيث مد الدال العنواني المتن بوشائح تصل البداية الاستهلالية بالخاتمة النهائية، حيث« العنوان إرهاصات المعنى»[31] التي تسهم في تكوين مادة الخطاب القصصي.

الإحالات والهوامش:

(1)– الطيب بودربالة: قراءة في كتاب" سيمياء العنوان" للدكتور بسام قطوس، الملتقى الوطني الثاني للسيمياء والنص الأدبي، 15، 16 أفريل 2002، منشورات جامعة محمد خيضر– بسكرة، ص 23.

(2)– Shain laid, analyse l'exico, semantique du titre comme révéllateur d'hypothès de sens dans le manuel scolaire, memoire de magistère, sciences du langage p: 13.

(3)– عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي، ص 110.

(4)– أحمد قنشوبة: دلالة العنوان في رواية" ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي، الملتقى الوطني الثاني للسيمياء والنص الأدبي، 15، 16 أفريل 2002، منشورات جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص 271.

(5)– ينظر: رحماني علي: سيميائية العنوان في روايات محمد جبريل، الملتقى الدولي الخامس، ص 293.

(6)– شادية شقرون: سيميائية العنوان في" مقام البوح" لعبد الله العشي، الملتقى الوطني الأول(السيميائية والنص الأدبي)، 7– 8 نوفمبر 2000، منشورات جامعة خيضر، بسكرة، ص 271.

(7)– حكمة النوايسة: استراتيجية التناص وتأويله في سرادق الحلم والفجيعة(لعز الدين جلاوجي، الأردن)، ص 103.

(8)– محمد فتوح أحمد: الحداثة الشعرية الأصول والتجليات، دار غريب القاهرة، 2007، ص 11.

(9)– ينظر: بسام قطوس: سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، إربد، الأردن، ط1، 2001، ص 117.

(10)– أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص 22.

(11)- عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب السردي، ص 94- 95.

(12)- المرجع نفسه: ص 95.

(13)- ثريا التيجاني: دراسات في القصة الشعبية الاجتماعية، ص 55.

(14)- هشام طالب: بناء الكون ومصير الإنسان، حقائق مذهلة في العلوم الكونية والدينية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص 117.

* الزخرف 87.

(15)- يُنظر: صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق(دراسة تطبيقية على الصور المكية)، دار قباء، القاهرة، مصر، ج1، ط1، 2000، ص 187.

* الطلاق 12.

* لقمان 27.

(16)- نازنين عمر عبد الرحمان: العدد في القرآن الكريم(دراسة تراكبية)، منشورات دار دجلة، المملكة العربية الهاشمية، عمان، الأردن، ط1، 2008، ص 123.

(17)- نقلا عن: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 29.

* البقرة 261.

* إمام عدل نشأ في عبادة الله تعالى* رجل قلبه معلق في المساجد* رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه* رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فأبى مخافة من الله* رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه* رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه.

(18)- البخاري ص 1423* مسلم ص 1031.

(19)- ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ص 243.

* الطلاق 196.

* الحجر 44.

* يوسف 43.

* يوسف 46.

* يوسف 46.

* يوسف 49.

* يوسف 49.

* الأنبياء 47.
* النساء 53.
* فاطر 61.
* يونس 13.
* الواقعة 6.

(20)– هشام طالب: بناء الكون ومصير الإنسان: ص 440.

(21)– هشام طالب: بناء الكون ومصير الإنسان، ص 222.

(22)– يوسف وغليسي: سيميائية الاوراس في القصيدة العربية الملتقى الدولي الخامس للسيمياء والنص الأدبي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص 98.

(23)– أحمد مختار عمر: اللغة واللون، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1982، ص 112.

(24)– المرجع السابق: ص 163.

(25)– هشام طالب: بناء الكون ومصير الإنسان، ص 275.

(26)– vue bachir ben salahe: l'interpretation sotioulturelles des couleurs: 489- 491.

(27)– عبد السلام المسدي: ما وراء اللغة، بحث في الخلفيات المعرفية، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله– تونس، أكتوبر 1994، ص 51.

(28)– أحمد مختار عمر: اللغة واللون، ص 182.

(29)– أحمد مختار عمر: اللغة واللون: ص 190.

(30)– عالية علي، مفقوده الصالح، زغينة علي:" قراءة في اقصوصة: خطوات في الثلوج" لزليخة السعودي، مجلة المخبر: أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر بسكرة، قسم الأدب العربي، ع1، 2004، ص 72.

(31)– عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي: البنيات الخطابية، التركيب، الدلالة، دار النشر، الدار البيضاء، ط1، 2002، ص 110.